ومجوسي وصابئي وحربي لا على مشركي العرب وحدهم وروي الزهري أن
الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب وقال لأهل
إذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت إليكم الجزية العجم وعند الشافعي رحمه
كي العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة رحمه الله في أول كل سنة من الفقير الذي
درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون
كسب له وعند الشافعي رحمه الله يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا
كسب أو لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
وجر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته
ومن نون فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء
قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا
وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس
صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك
قالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وسبب هذا القول أن
نبيا بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم
غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له إلى أين تذهب فقال أطلب
حتى رواه فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع
صدره وهو غلام إلا أنه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم
عليهم لما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فإن قلت
فما معنى قوله ذلك قولهم بأفواههم قلت فيه وجهان أحدهما
يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ
أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول
في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول
قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم
لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلب وذلك أنهم
صاحبة له لم يبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير
مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله
اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم
أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرئ يضاهون
امرأة ضهياء على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها
قاتلهم الله أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا لتعجب من شناعة قولهم
قالوا شنعا قاتلهم الله ما أعجب فعلهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه
الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد
عدي بن حاتم انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم فتحلونه
فتلك عبادتهم وعن فضيل ما أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق
قبلة وإنما المسيح حين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى إلى
للرحمن ولد فأنا أول العابدين وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أمرتهم

بذلك دلالة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح عليه السلام أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة سبحانه عما يشركون تنزيه عن الإشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في وما
أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أربابا إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف
يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده
ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين
الحق على كل دين ولو كره المشركون فإن قلت كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت
أو أبغضت إلا زيدا قلت قد أجري أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن
يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره يا أيها الذين آمنوا
إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله معنى أكل
الأموال على وجهين إما أن يستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قوله أخذ الطعام وتناوله
وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب للأكل ومنه قوله • يأكلن كل ليلة أكافا •
يريد علفا يشترى بثمن الأكاف ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام
والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
والذين يكنزون يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع
خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في
سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين
من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم
طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز
وقيل هي ثابتة وإنما عني بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو
كنز وإن كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أرض باعها فقال أحرز مالك
الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك فقال أليس بكنز قال ما أدي زكاته فليس بكنز
وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كانت تحت سبع أرضين وما لم
تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وإن كان على ظهر الأرض فإن قلت فما تصنع
بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب وتبا للفضة
قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين
أحدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك بيضاء وصفراء كوي بها وتوفي رجل فوجد
في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال
كيتان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل
وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه
ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال
ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل
والأدخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء
حد وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام
في الأفضل فإن قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا
بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم
فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال